

حق الحياة هو هدية العيد

للاستاذ عماد الدين عبد الحميد

المحقق القضاء بالأناضول

يتردد الناس كثيرا في اختيار هداياهم ، عندما تقرب بهم دورات الزمن كل حين من يوم العيد . وقد اعتاد الناس أن يقدموا بعض الهدايا إلى أقربائهم أو أصدقائهم في مثل هذه المناسبة القادمة بعد أيام .

ولكن بعض الناس لا يفكرون في العيد مثلما يفكر غيرهم ، فليس ما يدعوهم إلى أن يضيروا من حالهم في هذا اليوم ، أو أن يؤملوا في تغييره ، ولو أنه كان هناك ما يدعوهم إلى هذا لما كانت لديهم الوسائل إلى تحقيق هذا الأمل البعيد !

هؤلاء الناس هم الذين شغلهم مطالب البقاء عن سعادة الأحياء . . . ، فإذا فكروا في هذا اليوم لم يفكروا في هدية العيد ، وفرح العيد ، وسعادة العيد ، ولكن فكروا في مطالب الحياة أو في حق الحياة !

وخير هدايا العيد ما كان المهدي إليه في حاجة إليها . . . ولكن ماذا عساي أقدم لهؤلاء المحرومين ، ولست من الموسرين ؟ ! ..

ليس لي إذن أن أتردد في اختيار نوع هديتي في العيد إلى هؤلاء المحرومين ، وأنا من المأجزين . وعلى إذن أن أجعل مظهر هديتي من جوهر قدرتي فأقدم إليهم سطورا مكتوبة في حق الحياة ، عسى أن يجعلها غيري من القادرين أرقاما محسوبة في كتاب العدل الاجتماعي ! .

ولد الانسان حيا ، ومعه ولد حقه في الحياة ، بل ولد حق الانسان في الحياة قبل أن يولد ، فهذه شرائع السماء ونظم الأرض ترتب للجنين في بطن أمه حق الحياة ، فنقض العقاب على من يؤدي بعمله إلى موته في بطن أمه ، وتحفظ له حقه في الارث نصيبا مفروضا .

ويفسر بعض من الناس حق الإنسان في الحياة بضمان ألا يعتدى عليه إنسان غيره اعتداء يودي بحياته . ولكنني أريد أن يفسر الناس جميعا حق الإنسان في الحياة بالألا يعتدى عليه الإنسان أو المجتمع اعتداء يهدد هذه الحياة .

ولا شك أن التزامات المجتمع تجاه الإنسان في الدولة الحديثة المنظمة أوفى وأكثر من التزامات الأفراد تجاهه في عصر الحمجية الأولى . وطبعي أن تكون الحال كذلك ، لأن التزامات الفرد تجاه المجموع في الدولة الحديثة متعددة ، وقد كان في عصور الفوضى غير ملزم بشيء تجاه الآخرين .

كان الإنسان الأول يعمل ليعطى نفسه لحسب ، ولكنه اليوم يعمل ليعطى الدولة وليخدم المجموع البشرى . فكان يفيد وحده من عمله قديما ، ولكن الدولة والمجموع البشرى يفيدان اليوم من عمله ، ويؤمنان بأنهما مدينان لعمل الفرد في حفظ كيهما وفي الوصول إلى ماوصلا إليه من تقدم ، وكان الإنسان الأول مسئولاً وحده أمام نفسه عن حاجاته - وهو الذى يفيد من عمله لحسب - فالدولة اليوم والمجموع البشرى متضامنان في المسئولية عن حاجاته وعن حاله ، ماداما يفيدان من مجهوده وعمله .

كل مظاهر الحياة البشرية اليوم قد تغيرت ، وقد تبدلت إلى أحسن مما كانت عليه في الماضى ، وهى تسير كل يوم في سبيل الأفضل ، فلائى القوى تدين البشرية إذن بهذا الفضل العظيم ؟ إنها تدين به إلى قوة الإنسان ، إلى فكره وإلى عمله كمضو في المجموع البشرى .

وليس المخترعون والكاشفون والعلماء والحاكمون وحدهم أصحاب الفضل فيما وصلت إليه البشرية من تقدم ، فإن كل عامل بفكره وجهده شريك في هذا الفضل العظيم ، عظم تفكيره أو حقير ، وكبر جهده أو صغر ، بل لعلى للجهود الصغيرة المشتركة فضلا أكبر مما للجهود الكبيرة المنثرة .

أقد أعطى الإنسان إلى البشرية - كمضو فيها - من فكره وعمله كثيرا ، فهل له أن يأخذ منها بقدر ما أعطى وبقدر ما يعطى ، تنفيذا لدستور العدل الاجتماعى ؟

لا جدال في أن الدولة الحديثة المنظمة العادلة تعترف بهذا قانونا ، فهل تعترف به عملا ؟

لو أنها اعترفت به عملا فأعطت كلا بقدر فكره وعمله ، لكان الناس اليوم في صورة خير ما هم عليه من صور ، ولكان الناس اليوم جميعا يعيشون في الحال التى تتفق والعصر الذى يعيشون فيه وتناسب والجهد الذى أدوه ويؤدونه كل يوم في سبيل تقدم البشرية ، ولكان الناس اليوم جميعا يتمتعون بنتائج تفكيرهم وعملهم في شتى مناحى الحياة .

لكن أكثر الناس ، يعيشون اليوم في صور لا تتفق والحال الكريمة التى تعيش فيها البشرية كنتيجة للجهود الفكرى والمجهود العملى للإنسان في شتى مناحى الحياة .

كم من انسان يعيش اليوم في عصر المدنية والنور والحرية وهو لا يضمن خبزه الكريم :
وكم من انسان يعيش اليوم وهو لا يضمن كساءه الكريم ، وكم من انسان يعيش

اليوم مشردا لأنه يعجز عن تملك قليل من النقد ، يدفعه إبحارا لبحر متواضعة ، وكم من إنسان يعيش اليوم غليلا عاجزا عن الوصول إلى من يرشده إلى سبيل التطيب ، عاجزا عن الحصول على ثمن دواء أو محل في مستشفى للعلاج ، وكم من إنسان يعيش اليوم في دنيا العلم والمعرفة وهو — في الحق — يحيا في عالم الجهالة والضلالة !

وأخيرا ، كم من الناس اليوم يتمتع حقا بالصورة الواجبة للحياة البشرية الكريمة ، التي لم توجد بغير فكر الإنسان وعمل الإنسان ؟ !

أرجو أن يكون هذا الجواب خاطئا . نستطيع أن نقرر حق الحياة للإنسان ، في صورة غير ما هي عليه الآن في صورة كريمة تتفق وكرامة "الإنسان" وتوازن وجهده في كفاح تقدم الإنسانية .

فهل نستطيع أن نضع حق الحياة في هذه الصورة ، صورة أن يعيش كل عامل بفكره أو وجهده في الحال التي تعيش فيها البشرية ، والتي لم تصل البشرية إليها إلا كنتيجة لما بذله من تفكير أو مجهود ؟

لا أقل من أن نضمن لكل إنسان يعمل أو يريد العمل غذاء كافيا مناسباً ، وأن نضمن له كساء كافيا مناسباً ، وأن نضمن له مأوى كافيا مناسباً ... غذاء وكساء ومأوى له ولأسرته ، التي تتجلب لنا جنود الوطن وأيديه العاملة في مستقبل الأيام ، والتي بقدر ما تكون قوتها الحاضرة تكون قوتها المستقبلية ، وبقدر ما تكون قوتها حاضرا ومستقبلا تكون قوة الوطن وقوة المجموع البشري .

ولمنا — بعد هذا — مستطيعون أن نحقق له ثقافة مقبولة تضعه في مرتبة تفوق — شيئا ما — مرتبة الحيوان الأعجم ... وأن نسأل له راحة كافية ، بعد فترات عمله المضني ، لا راحة كاملة كتلك التي يتمتع بها كثيرون من الذين يأخذون ولا يعملون ...

ولا نريد أن نضمن له هذا كتفضل منا عليه ، ولكننا نريده له كحق له علينا ، جزاء جهده وكده ، وجزء نصيبه فيما آلت إليه حال البشرية من تقدم ، كنتيجة لما بذل ويبذل من عمل وجهده .

ثم لعلنا — بعد هذا وذلك — قادرين على أن ندخل على نفسه السرور ببعض السبل ، وأن نرسم على نغره ابتسامة متواضعة هادئة في يوم العيد ... بين الضجة الصاخبة التي يتحدثها غيره من البشر ، حين يمرحون ويلهون ويعشون ... في يوم العيد ، بل في جميع الأيام !

إن حق الحياة للإنسان — كهضو في مجموع بشري — يلزم أن يقرر وأن يقوم على أساس تتمه عملا بصورة كاملة سليمة لحياة البشرية التي يعيش فيها ، والتي تحيا بتفكيره وتتمو بعمله . وتحقيق هذا الحق واجب الدولة الحديثة المنظمة العادلة